

• دريافت ٩١/٠٩/١

• تأييد ٩١/١٢/٢

## التحليل السيميائي لرواية «رحلة ابن فطومة» العناوين و الشخصيات

الدكتور فرامرزميرزايي\*  
طبيه اميريان\*\*

### الملخص

إن التحليل السيميائي يساعد القارئ للوصول إلى الدلالات المتبطنة في النص، خاصة إذا كان النص ثرياً و مشحوناً بالدلالات الرمزية و هذا ما نجده في رواية «رحلة ابن فطومة» لكانتها الشهير نجيب محفوظ، حيث عنوانها يوحي بأن الكاتب استمد ماذته من التراث فكراً وشكلاً، فالفكر فيها مقتبس من التراث الصوفي في السفر لكشف الحقيقة و الشكل فيها متأثر من أدب الرحلة من التراث الأدبي. والمحلل السيميائي للرواية يركز اهتمامه على العناوين و أسماء الشخصيات و الأمكنة، لأنها هي تلك المنطقة من الرواية أكثر إحياء و أشحن دلالة على المعاني الرمزية. تكتنظ رواية «رحلة ابن فطومة» بالعديد من العناوين ذات الدلالات السيميائية المتباينة. بدءاً من العنوان الأصلي كمفتاح يفك رموز الرواية و يكتشف دلالاتها، و مروراً بالعناوين الفرعية كـ«الوطن، دار المشرق، دار الحيرة، دار الحلبة، دار الأمان، دار الغروب و البداية» التي لكل واحد منها دلالات سياسية و فكرية و اجتماعية؛ و منتهياً بأسماء الشخصيات التي تدل كل واحدة منها على رموز فكرية من الصوفية و ظروفها، مقاماتها و خصائصها منسجمة مع المنظومة الفكرية للكاتب في صياغة رواية مكتملة البناء و الفن.

### الكلمات الرئيسية:

السيميائية، نجيب محفوظ، رحلة ابن فطومة.

\* الأستاذ في اللغة العربية و آدابها بجامعة بوعلی سینا بهمدان mirzaiefaramarz@yahoo.com

\*\* طالبة الدكتوراه في اللغة العربية و آدابها بجامعة بوعلی سینا بهمدان

## - إشكالية البحث

السيميولوجيا أو السيميائية<sup>١</sup> « تدرس كلَّ شيء يدلُّ على شيء آخر أو هي تدرسُ العلاماتِ أو الإشاراتِ، وهي لعبةُ التفكيكِ وَ التركيبِ، و تحديدُ البنياتِ العميقةِ الثاويةِ وراءَ البنياتِ السطحيةِ المتمظهرةِ فونولوجياً و دلاليّاً» (برهومة، ٢٠٠٧: ٣٩). ذلك لأنَّ اللغةَ نظامٌ من الدلائلِ و بالتالى إنَّ كُلَّ كلمة، فى علم السيمياء، تُعدُّ دليلاً لسانياً. و الباحثون فى مجال السيميائياتِ اهتموا، من بين النصوص الأدبية، بالنص السردى<sup>٢</sup> (جيرو، ١٩٨٨: ٢٣).

فالتحليل السيميائي يقومُ على تناول المعنى النصى من خلال زاويتين: السطحية التى يتمُّ فيها الاعتمادُ على المكوّن السردى فى تنظيم تتابع حالاتِ الشخصياتِ و تحولاتها و المكوّن الخطابى الذى يتحكم فى تسلسل الصور و إثارة المعنى؛ و الزاوية العميقة التى ترصدُ شبكة العلاقات فى تنظيم قيم المعنى حسب العلاقات التى تقيمها، و فى تبين نظام العمليات التى تنظم الانتقال من قيمة إلى أخرى (كورتيس، ٢٠٠٧م: ١٢). ذلك لأنَّ النص السردى هو اللون الأدبى الذى يرتبط بالحياة ارتباطاً وثيقاً و يعطى الكاتب قدرةً وافيةً لاستيعاب الحياة بكل ما فيها من أفكار و أحداث، فى بناء فنى رائع. لعلَّ هذا ما جعله أكثر الأنواع الأدبية انتشاراً بين الناس و أكثرها اهتماماً بين النقاد فى عصرنا الراهن. إن روايات نجيب محفوظ مادة ثرية للتحليل السيميائى لأنها مزيجٌ من الفلسفة، و الدين، و الاجتماع، و السياسة، و النفسية و الصوفية ممَّا جعل رواياته، خاصة أعماله الأخيرة، قادرةً على « أن تثيرَ فى نفس القارىء جملةً من الذكريات، و تستدعى كثيراً من الصور، كما أنه يثرى النسيج الروائى، و يهب الروايات القدرةَ على الإيحاء بمعانٍ عدة» (كيربتيشنكو، ١٩٩٣: ١٩٨) و منها رواية «رحلة ابن فطومة»، الزاخرة بالدلالات الفكرية و الرمزية و المستلهمه من التراث السردى العربى العريق شكلاً و معناً. اتَّخذ محفوظ شكل الرواية الفنى من « أدب الرحلة» أحد أشكال القصص العربى الإسلامى، لأنه «مصدر مفيد للمعرفة بطبائع البلدان، و قيم الشعوب و تقاليدها» (فهيم، ١٩٨٩:

١٥٠). ثم أقام عليه بناءه الروايي الدال على بنية فكرية و رؤية حضارية ليكون نموذجاً بنائياً لمفهوم الحقيقة.

هذه الدراسة تعتبر محاولة لكشف جمالية سيميائية للعناوين و أسماء الشخصيات و ذلك للإجابة على كيفية دلالة العنوان الأصلي «رحلة ابن فطومة» و العناوين الفرعية و أسماء الشخصيات فى الرواية على مضمونها السردى دلالة جمالية، منطلقاً من فرضيتنا أن العناوين فى الرواية تحمل دلالات و إشارات، تشرح أفكار محفوظ حول الحقيقة و الأنظم السياسية المختلفة فى الرواية تماماً و أن الرواية تُعدُّ من أجناس الكتابة الصوفية، حيثُ الشخصيات فى الرواية ذات دلالات صوفية و جمالية. هذه الدلالات تكمن فى تناسقها تماماً مع المضمون الروايي الذى يدور حول البحث عن الحقيقة والإسلام الحقيقى و الحيرة الناجمة عن هذا البحث.

## ٢- أهمية البحث و الهدف منه

للمنهج السيميائي التحليلى دورٌ هامٌ فى استكشاف بواطن النص الروايي و إبراز ما فيه من دلالات جمالية للقارئ. حيث القارئ أو المتلقى يمكنه فهم النص الروائي فهماً دقيقاً. إن هذا البحث يهدف إلى تبين سيميائية العناوين و الشخصيات فى رواية «رحلة ابن فطومة» و الكشف عن رمزية الرواية فى إطار التحليل السيميائي.

## ٣- منهج البحث

اعتمدت الدراسة على منهجية التحليل السيميائي مسباراً يكشف عن سيميائية العناوين و الشخصيات الصوفية فى الرواية، من خلال فحص مكوثات العنوان و أنماط الشخصيات فيها. فهيكلية الدراسة قائمة على مقومات هذا المنهج مستفيدة من التحليل النصي المعتمد على تحليل المضمون لإحصاء العناوين و أسماء الشخصيات و التحليل الكيفي لها سعيًا لكشف الدلالة الفنية و السيميائية للعناوين و الشخصيات فى النص الروائي.

## ٤- الدراسات السابقة

ليس في عصرنا الحديث أديب شغل العقل الأدبي العربي مثلما شغله نجيب محفوظ و ليس هناك ناقد لم يكتب عنه (مرينى، ٢٠٠٦: ٢٨). فالبحوث العلمية حول أدبه لكثيرة جداً، نذكر منها ما يهمننا كالبحث الذى أقبلت عليه فاطمه محمود عثمان، من جامعة المنيا، فى أطروحتها المعنونة بـ«توظيف الصوفية فى الرواية المصرية: نجيب محفوظ و جمال الغيطانى» و كانت حكاية «رحلة ابن فطومة» من مباحثها. و ثمة دراسة أخرى لسناء كامل شعلان «الرحلة الأسطورية فى رواية «رحلة ابن فطومة» لنجيب محفوظ»، فتقوم الدراسة على تحليل الرواية على حدث أسطورى، و هو الرحلة و الطواف فى عوالم أسطورية كالرحلات الأسطورية التى قام بها أبطال أسطوريون كإيزيس لأسباب متباينة (شعلان، ٢٠٠٦: ٣). و دراسة أخرى لإيهاب الملاح «استلهام التراث السردى فى رواية «رحلة ابن فطومة»»، يعتقد الكاتب فى دراسته أن نجيب محفوظ قد قرأ رحلة ابن بطوطة جيداً و تمثلها لتكون المرجع أو الإطار لروايته، كخطوة طموح على طريق تأصيل شكل عربى للرواية (الملاح، ٢٠١١، ٥).

و أما الباحثون الايرانيون فقد تعددت دراساتهم التى تناولت نجيب محفوظ و رواياته: منها «قراءة فى المدرسة الأدبية لثلاثية نجيب محفوظ» لكاتبهما ميرزاىى و اكبرى مفاخر (١٣٨٨: ١١٣)، حيث عالجا المشاكل الإجتماعية و الفكرية و السياسية خاصة الثنائيات التى عان منها المجتمع المصرى، كالتقابل الثقافى بين الشرق و الغرب، فى ضوء المدرسة الواقعية و أخرى لهما (ميرزاىى و اكبرى، ١٣٨٧: ١٦٢). المعنونة بـ «الأزمة الفكرية و الروحية للبطل فى رواية الثلاثية لنجيب محفوظ» حول بطل الرواية و أزماتها خاصة معاناته من مجموعة متنوعة من الإزدواجية، مثل الإنقسام بين العلم و الدين، و التى لا ترزخ لحل. و مقالة «مظاهر الواقعية التفاضلية فى أدب نجيب محفوظ و تداعياته»، لعدنان طهماسبى و جواد اصغرى (١٣٨٥: ٣٥) فأشارا إلى الميزات

الرئيسة للواقعية التفاوضية في آثار محفوظ القصصية، ومقالة «الرمزية في أدب نجيب محفوظ» لجواد أصغرى (١٤٢٧: ١٥)، فالباحث يعتقد أن محفوظ رغم نزعتة الواقعية، فله ميول فنية للرمز في بعض رواياته كأولاد حارتنا واللص والكلاب. وهذه الرمزية تعطى رواياته الواقعية قشوراً متعددة يتمتع منها شرائح مختلفة من الأفراد. وثمة دراسة أخرى «التناسق القرآني في رواية اللص والكلاب لنجيب محفوظ»، لخليل برويني وزملاءه (١٤٣٢: ٤٣) فأوضحوا فيها أن محفوظ استخدم القرآن الكريم في روايته استخداماً إيجابياً وأخرى لهم (برويني وزملاءه، ١٣٩٠: ١١٨) في نفس السياق المعنونة بـ «جدلية البحث عن الله في رواية الطريق لنجيب محفوظ» واعتقدوا أن محفوظ تطرّق في رواية «الطريق» إلى البحث عن الله وإلى التساؤلات العديدة حول مصير الإنسان الضعيف، وأحداث الرواية تأتي من منطلق رمزي وإطار فلسفي. ودراسة أخرى لبرويني وعموري (١٤٣١: ١٦٠) بعنوان: «التناسق القرآني في رواية حكايات حارتنا لنجيب محفوظ» ورأى الكاتبان أن الكاتب استطاع في التناسق القرآني بنوعيه الداخلي والخارجي في هذه الرواية أن يبين بعض أفكاره السياسية والإعتقادية. ومقالة «صدي المرآة في الأعمال النقدية الواقعية لنجيب محفوظ»، لروشنفكر وعبدى (١٣٨٣: ٦٢). فالكاتبان تناولوا دور المرأة في الأعمال الأدبية الواقعية لـ محفوظ، من ناحية الاقتصادية وأخيراً دراسة «اللص والكلاب: دراسة في الشكل والمضمون»، لعللى كنجيان وبادرستاني (١٣٨٨: ٢١)، فحاولا فكّة الرمز من رواية اللص والكلاب في نقدها لسلوك الحكام المصريين بصورة غير مباشرة. هذه هي أهم الدراسات التي تعرضت لبعض أعمال نجيب محفوظ والتي تناولت في معظمها روايات محفوظ من منظور المناهج الجديدة للنقد الأدبي كالتناسق والمدارس الأدبية المتنوعة مثل الواقعية والرمزية. ولم نجد ما يعنى عن شئ في المجالات المحكمة داخليا حول رواية ابن فطومة، وهي رواية قيمة فنياً ومضموناً، فتناولنا دراسة دلالة العناوين والشخصيات فيها تناولاً سيميائياً راجياً أن الدراسة قد أضافت بحثاً جديداً من نوعها في هذا المضمون.

## ٥- المضمون السردي للرواية

رواية « رحلة ابن فطومة » تحتوى على ذكريات شخصية تدعى «قنديل ابن فطومة الأزهرى» المشتاقة إلى سفر «بحثا عن الحقيقة» و « الإسلام الحقيقى» المفقودين فى بلاده نحو «دارالجبل» ، ليرجع « إلى وطنه المريض بالدواء الشافى» (محفوظ، ٢٠٠٧: ٦٤٧). يشجعه على ذلك أستاذه الذى فشل فى إكمال الرحلة قبله بعدة سنوات. و ذكرياته هذه تشمل على وصف رحلة لسبعة دور و ما حدث له فيها من مشاكل و مصاعب كثيرة ، بدءً من دار الوطن، ثم دار المشرق، فدار الحيرة، و دار الحلبة، و دار الأمان، و دار الغروب، و البداية على الترتيب ليصل إلى الحقيقة و العدالة، المتواجدين فى آخر دار لرحلته، أى: دار الجبل التى تعدّ مكانا متخيلا. خصائص هذه الأوطان مختلفة فى الثقافة و الديانة و الحكومة. ففى أثناء رحلته يلتقى بشخصيات مختلفة فى حوار فكرى ناجم عن اختلاف فى الرؤية دون الوصول إلى الحسم فى كشف الحقيقة. و أخيرا يواصل رحلته وحيدا ، كاتبا آخر سطور رحلته: « تخففت بعد ذلك من وساوسى و تأهبت للمغامرة الأخيرة بعزيمة لا تقهر». (محفوظ: ٦٨٩) ثم يضيف على ذلك الرواى قوله: « بهذه الكلمات ختم مخطوط رحلة قنديل محمد العنابى الشهير بابن فطومة و لم يرد فى أى كتاب من كتب التاريخ ذكر لصاحب الرحلة بعد ذلك». (نفسه: ٦٨٩) فالرواية تبقى مفتوحاً دون نهاية حتمية، كان الرواى أو بعبارة أخرى كان الكاتب عهد النتيجة إلى القارئ ليستنبطه من النص الرواى و ذلك بأسئلة مثيرة للانتباه: « هل واصل رحلته أو هلك فى الطريق؟ هل دخل دار الجبل و أى حظّ صادفه فيها؟ و هل أقام بها لآخر عمره أو عاد إلى وطنه كما نوى؟ و هل يعثر ذات يوم على مخطوط جديد لرحلته الأخيرة؟ علم ذلك عند عالم الغيب و الشهادة (نفسه: ٦٨٩).

## ٦- تحليل العناوين السيميائي للرواية

يرى علماء السيميائ أنَّهُ لا شَيْءَ خارج النَّصِّ، فالعنوان و النص و الإخراج

الطباعي والإشارات و الصور أجزاء لا تتجزأ من الخطاب، فكُلُّها إشارات دالة يكمل بعضها بعضاً (موسى، ٢٠٠٠: ٧٢). ثم إنهم عنوا بالعنوان فى النصوص الأدبية بالغ العناية، إذ يعدُّ عتبة النص للولوج إلى خباياه و كشف أسرارهِ. و العنوان نص مضغوط و صورة كلية و موجزة يحدد هوية النص و إنه « نظام سيميائي ذو أبعاد دلالية و رمزية و أيقونية... و هو كالتص، أفق» (طقوس، ٢٠٠١: ٦). و هو الذى يحدد موضوع النص و يعدّ « نصاً موازياً له و عتبة تحيط بالنص». (برهومه، ٢٠٠٧: ٤٥)، و يشكل أول حلقة اتصال نوعى و خاص بين المؤلف و المتلقى. فاختيار العنوان ليس أمراً يسيراً و عبثاً، بل هو عملية صعبة. فى الحقيقة أن الكاتب يؤسس علاقةً ضمنيةً بين العنوان و النص.

#### ١-٦- العنوان الاصلى «رحلة ابن فطومة»

المضمون الأساسى لرواية رحلة ابن فطومة، يدور حول « الروح الحائرة للبشر طوال حياته». (محفوظ، ٢٠٠٧: ٦٤٦) الروح التى تبحث دائماً عن كمالها للوصول إلى الحقيقة، و العدالة، و الحرية فلا بدَّ له من قطع مسافة بعيدة واحدة تلو الأخرى. ولأجل ذا اختار نجيب محفوظ عنوان «رحلة ابن فطومة» ليبدل على ما تحتويه الرواية من عناء السفر فهو عنوان فنى ذو دلالات كثيرة يفى بما يريده الكاتب موحياً بما يستنتجه القارئ.

#### ١-٦-١- الدلالة المعجمية للعنوان

عنوان «رحلة ابن فطومة» تركيب اضافى ذو مكوتين: مكون حدثى، و هو لفظ «رحلة»، و مكون فاعلى (يقوم بالعمل) و هو اسم «ابن فطومة». فلفظة «رحلة» ضدُّ السكون، تدلُّ على حركة من مكان إلى آخر للتنزه أو مشاهدة الأمصار المختلفة و تسجيلها مع تجارب صاحب الرحلة لتؤدى فى النهاية إلى تحوُّل الإنسان لكسبه التجارب الكثيرة منها. و أما مكون ابن فطومة الفاعلى، فيدلُّ على رحالة تستهويه مشاهدة الأمكنة، و الثقافات المتعددة، و المدن المستغربة، للكشف عن أسرارها و الحصول على بغيته و إيصال تجربته للأخرين الذين لم تتكمنهم الرحلة.

إن إضافة المكوّن الحداثي (رحلة) إلى المكوّن الفاعلي (ابن فطومة) تكسب المضاف معرفة لتعطيه دلالة أخرى خفية و هي أنّ الرحلة ليست عاديةً و امتزاج المكوّنين الحداثي و الفاعلي يظهر لنا أهمية هذا السفر و مكانته، و نظراً للمعنى المعجمي لكلمة (فطومة) المأخوذة من مادة «فطم» من «فطم العودُ فطماً؛ قطعه. و فطم الصبي يفطمه فطماً، فهو فطيم؛ فصلّه عن الرضاع... و أصلُ الفطم القطع» (ابن منظور، ١٩٨٨، ماده فطم)، يبدو أنّ الرحلة هي لرحالة كثير السفر و القطع من مكان إلى آخر كما هي الحال بالنسبة لابن فطومة الشخصية الروائية الدائمة السفر و التي تنفك من الأواصر و التعلّقات الدنيوية في كل موطن و مرحلة لمواصلة رحلتها.

يتبين من عنوان الرواية أنّ كاتبها يعامل كلمة «الرحلة» معاملة تقنية ليخرجها من دلالاته المحدودة لمفهوم الطريق إلى دلالة أكثر شمولية ليعادل هذا الطريق معادلاً موضوعياً للتجربة الإنسانية و هي «رحلة البحث عن كشف الحقيقة» (هيلل، ٢٠٠٦: ١٣٩). و إنّ أهمية الرحيل، ترتبط، في إشارة سيميائية، بالمعرفة، التي تتطلب مسافات طويلة. يحكى نجيب محفوظ قصة ابن فطومة كشخصية تبحث عن روح الإسلام الحقيقي و ذلك بعد المحاورات التي تقع بينه و بين أستاذه الشيخ مغاغة الجبيلي، المعلم الذي أثار شوقه للرحلة، فنما في داخله أمل كبير لزيارة دار الجبل للكشف عن سرها للعالم، فبدأ أسفاره في أوطان «خيالي، لا واقعي في العالم» لا للسياحة و التنزّه، بل للوصول إلى ضالّته، قائلاً: «و قال لي صوتٌ باطني بأنني سأكون أول ابن لآدم يتاح له أن يطوف بدار الجبل ثم يعلن سرّها للعالمين» (محفوظ، ٢٠٠٧: ٦٤٩). فضالّته المنشودة التي لا يمكن الحصول عليه إلا في دار الجبل، هي الإسلام الشامل على الحرية الحقيقية.

و دلالة أخرى معجمية من كلمة ابن فطومة تشير إلى أنّ هذه الرحلة لا تنحصر في إنسان واحد، لأنّ الفطومة صفة عامة لكل إنسان يولد من أمّ و ينظم منها في يوم من الأيام، هذا ما يفهمنا أنّ تعميم كشف الحقيقة مقصودٌ



المؤلف في الرواية لكل إنسان في هذا العالم. فالذين يبحثون عن الحقيقة و الكمال لا بد أن يتجاوزوا العقبات الشاقة و الموانع النفسية كما فعل ابن فطومة في رحلته هذه. فالسفر كامن في نفس كل إنسان طالب الحقيقة لأن الرحلة رحلة نفسية و باطنية يقوم بها كل من يخالجه الكشف الشهودي للحقيقة.

#### ٢-١-٦- الدلالة التراثية

إن الرحلات تشكل أكثر المدارس تثقيفاً للإنسان. (فهيم، ١٩٨٩: ١٧) و كان العرب قد عرف الترحال قبل الإسلام حسب ما ورد في القرآن من إشارة إلى رحلتى الشتاء و الصيف. (القرآن، قريش: ٢) و بعد الإسلام، دفعت أسباب مختلفة، كان من أهمها الحج، بالمسلمين إلى رحلة و الانتقال حتى يمكننا القول بأن «رحلة الحج اكتسبت صفة تراثية شعبية». (فهيم، ١٩٨٩: ٨٠) ثم اقترنت الحاجة السياسية للدولة في التعرف على المسالك و الطرق بالاجابة الدينية لأداء فريضة الحج فنشأ أدب الرحلة في التراث الأدبي على راحبهما. (ضيف، ١٩٨٧: ٩) كشكل نثرى قادر على استيعاب الموضوعات المتعددة (جمعه، ١٩٩١: ١١٢). ظهر هذا التراث في الأدب العربي الحديث عند أمثال طهطاوى و الشدياق و أمين الريحانى و طه حسين و توفيق الحكيم... و أخيراً نجيب محفوظ.

يحيل عنوان رواية «رحلة ابن فطومة» لنجيب محفوظ إلى أشهر عناوين أدب الرحلة في التراث العربى، و هى «رحلة ابن بطوطة»، أو «تحفة النظار فى غرائب الأمصار و عجائب الآثار» التى كتبها أعظم رحالة عرفه العرب فى تاريخهم الوسيط و هو أبو عبدالله محمد بن عبدالله بن محمد بن إبراهيم اللواتى، الشهير بابن بطوطة الطنجى و «لم يترك ابن بطوطة بلدا نزل بها إلا تحدث عن أهلها و سلطانها و علمائها و قضاتها و بذلك رحلته معرضا كبيرا لحياة الأمم و الأقاليم التى نزل بها من الوجهتين السياسية و الاجتماعية و كانت فيه نزعة دينية قوية فأطال الوقوف عند رجال الدين و أمور الاسلام و زوايا المتصوفة». (ضيف، ١٩٨٧: ٩٨) و هذا ما نراه فى رحلة ابن فطومة حيث أنه لم يترك دارا نزل بها إلا تحدث بإسهاب عن أهلها و طقوسها الدينية و

زعماؤها الروحانيين و حكمائها السياسيين و كيفية معاملتهم مع أهل تلك الدار. رغم هذا التشابه إن تجربة ابن فطومة تختلف عن تجربته التي كسبها ابن بطوطة طوال أسفاره لأن رحلة ابن فطومة « هي رحلة زمانية رأسية لأفقية، تستعرض عبر تاريخ الإنسانية أهم محطات المذاهب السياسية و الاقتصادية، بحثاً عن النظام الأمثل القادر على إقامة مجتمع إنساني سعيد» (شوقي، ٢٠٠٠: ١٩٨). تشير هذه الدلالة التراثية إلى أن محاكاة النص اللاحق للنص السابق، محاكاة واعية، لاستخدامه استخداماً عاصرياً لبيان حالة الإنسان المأزومة و عرض طريق لحلّ وطن متخلف يحتاج، أكثر ما يحتاج، إلى دواء يشفيه من مرضه الذي لا يزال يستعصي الحل. فهدف « ابن بطوطة» من رحلته كان أداء مناسك الحج، أما هدف «ابن فطومة» فهو الوصول إلى دار الجبل لتحصيل المعرفة النافعة، لإنقاذ وطنه المتخلف من أمراضه المزمنة سعياً إلى الخلاص الجماعي، ففي قوله هذا إشارة إلى ذلك: « من أجل ذلك قمت برحلتى يا شيخ حمادة، أردت أن أرى وطنى من بعيد، و أن أراه على ضوء بقية الديار، لعلنى أستطيع أن أقول له كلمة نافعة» (محمود، ٢٠٠٧: ٦٤٧). و لأجل ذا كان ابن فطومة يقوم فى كل دار نزل بها، بمقارنة بين ما يجرى فيها و بين ما يجرى فى وطنه المتخلف و بين عادات أهلها و عادات أهل وطنه المريض و المقارنة تبدى تحسره و حزنه العميقين فى كثير من الأحيان.

## ٢-٦- العناوين الفرعية

جاءت رحلة ابن فطومة مؤلفة من بداية يمثلها «الوطن» و نهاية تمثلها «البداية» أو « دار الجبل» و خمسة بلدان بينهما، هى دار المشرق، دار الحيرة، دار الحلبة، دار الأمان، دار الغروب. أسماء هذه الأمكنة الخيالية تعطى دلالات كثيرة، حيث الانتقال من دار إلى أخرى يزود القارئ معرفة أكثر للوصول إلى الحقيقة كما هو الحال بالنسبة لابن فطومة الذى يتحمل كلّ المصائب فى سبيل الوصول إلى دار الجبل، المدينة الفاضلة، ذات نظام أحسن للعدالة، و الحكم، الحرية و الإسلام الحقيقى. فهذه العناوين و الأسماء التى

اختارها نجيب محفوظ، إشارات تدلُّ بنظامها و أحوالها المختلفة على الخصائص الدينية و الملامح الأساسية للنظم السياسية فى العالم.

### ١-٢-٦- الوطن

الوطن أو «دار الإسلام» هو الموطن الأوّل لرحلة ابن فطومة، فهى مليئة بالجهل، و الفقر، و الظلم و بعيد عن الإسلام الحقيقى. دلالة الوطن أو دار الإسلام فى هذه الرواية تبنى على مفارقة ساخرة تتضح من خلال الأوصاف التى يطلقها ابن فطومة. تدلّ لفظة الوطن فى دلالتها المعجمى على الاستقرار و الطمأنينة و «الإسلام» تدلّ على التسليم الدينى و الرضا، أما فى الرواية فتدلّان على نقيضهما و هما: الخيانة و الزيف، أو الاضطراب و الابتعاد عن الله: «إذا كان الإسلام كما تقول فلماذا تزدهم الطرقات بالفقراء و الجهلاء؟! فأجانبى بأسى:- الإسلام اليوم قابع فى الجوامع لا يتعدّاها إلى الخارج! - إذن إبليس هو الذى يهيمن علينا لا الوحي» (محفوظ، ٦٤٧). و حين يتعرض ابن فطومة لمشاكل عديدة منها: خيانة الدين لأنّ الإسلام قابع فى الجوامع، و خيانة الأمّ لأنّها تزوّجت من أستاذه، و خيانة الحبيبتة لأنها تزوّجت من حاجب الوالى، يصرخ محتجاً: «خاننى الدين، خاتنتنى حليلة، و بدا كلّ شىء كالحأ... و بدت له الدنيا صفراء كريهة لا تحتمل و لا تعاشر» (نفسه، ٦٤٧). لهذه المفارقة الساخرة بين مدلولى الوطن و الإسلام و ما يجرى فى المجتمع الإسلامى الزائف و الركن أمام سلطة المال و الخداع، إشارة سيميائية هامة إلى أنه ليس للإسلام بهذه الأمور من صلة وإنما ظاهرة الإسلام أصبحت ذريعة للحكام و للناس لتستر أعمالهم و تبريرها و هذا ممّا دفعه إلى الرحلة ليجد دواؤه الشافى لدائه العضال و ليجد الإسلام الحقيقى.

### ٢-٢-٦- دارالمشرق

يلتقى ابن فطومة فى دارالمشرق بكاهن الدار و حكيمها ثمّ بـ «عروسة» فيتزوَّج منها و يُعتقل بتهمة «تنشئة ابنه الأكبر على الكفر». أهل هذه الدار

بدائيون و وثنيون و يعبدون القمر «أهل المشرق جميعاً يعبدون القمر!» و هم من الرجال و النساء على السواء، عرايا تماماً. و العرى عادة مألوفة لهم. و « لكل مدينة سيّد هو مالكها، يملك المراعى و الماشية و الرعاة، الناس عبيده...» (محفوظ، ٦٥١).

إن لفظة «المشرق» ذات دلالة سيميائية، هذه الكلمة فى دلالتها المعجمى تدل على المكان الذى تطلع منها الشمس، أى تتولد منه، لتمضى أولى مراحل حياتها اليومية و تتحرك نحو المغرب و الكمال لتدل على المرحلة الأولى لحياء البشرية أو طفولية الإنسان، لأن أهل «دار المشرق» يمارسون طقوساً بدوية تدل على بداية طريق خاص ل شروع رحلة خاصة و هذا واضح من الأحداث التى حدثت لابن فطومة فى دار المشرق، و التى تنبئ عن الدلالات السيميائية المتنوعة كالفهقرية و اللاتقافية و السلوك البدائى الأولى للبشرية فى علاقاتها بين الرجل و المرأة.

### ٣-٢-٦- دارالحيرة

ينتقل ابن فطومة إلى دارالحيرة التى تبدو أكثر تقدماً من دار المشرق، و الناس فيها يعرفون الزراعة و يدينون بالولاء لملكهم و يتم العيش بإرشاد الملك و المهم هو الملك! و إرشاداته هى أقصى ما يطمح الإنسان من عدل و سعادة!! إن الأحداث الواقعة لابن فطومة فى هذه الدار تدل على أن النظام الحاكم لها نظام مستبد انتهازى و أكثر وثنياً من دار المشرق، لأن الناس كلهم عبيد الملك و لأجل ذا قضى ابن فطومة عشرين عاماً فى السجن بتهمة زائفة دبره له حكيم الدار ديزنج (محفوظ، ٦٦٤). الدلالة المعجمية لكلمة «الحيرة» تفى بما يحار منه الإنسان من أمر غير مصدق عليه و هذا ما يقع فى هذا الدار من تهم زائفة و عبادة ملك و العيش فى مجتمع لا اختيار لأفراده و لاحق، و كل شئ من مال و نفوس، يستأثرون به الملك و أعوانه، و ذلك كله يحدث فى القرن العشرين! و الإنسان فى حيرة مما يحدث فى هذا الدار من سوق الناس إلى الحرب و السجن و مثل ذلك.

## ٤-٢-٤-٦- دار الحلبه

ينطلق ابن فطومة في رحلته إلى دار الحلبه، التي تعجبه و تدهشه في اللحظة الأولى، «أهلاً بكم في الحلبه عاصمة دار الحلبه، دار الحرية...دهشت لسماع الكلمة الملعونه في كل مكان..تركت قدمي تقوداني بحرية في مدينة الحرية» إذ يجدها المجتمع الأمثل للحرية فهي أرض الحضارة المتطورة و أن أصحاب الديانات المختلفة يتمتعون بالمساواة و الجد و الرزانه و تعلق قيم التسامح و الحرية و الديمقراطية و تقديس العلم و العمل «إنها دار الحرية، تمثل فيها جميع الديانات... و منذ اللحظة الأولى شملني شعور بأنني في مدينة كبيرة يدوب فيها الفرد فلا يدري به أحد... الحرية هي القيمة المقدسة المسلم بها عند الجميع!» (محفوظ، ٦٦٨).

من خلال ما سبق نستشف من عنوان دار الحلبه، أنها تدل على نظام رأسمالية الغربية، النظام الذي يروغ ابن فطومة و لكن لا يلبث حتى يفهم أنه نظام تنقصه الإحساس بالمسؤولية أحياناً: «فقلت مدافعاً داركم لا تخلو من فقاء و منحرفين. فقال بحماس: الحرية مسؤلية لا يستطيع الإضطلاع بها إلا القادرون و ليس كل من ينتمى إلى الحلبه أهلاً لهذا الانتماء، لا مكان للعجزه بيننا. فتساءلت بحرارة: أليست الرحمة قيمة مثل الحرية؟!» (ن.م: ٦٧٣). ثم إن الفوضى يسود هناك في الدين و الاعتقاد: «كانت في الأصل وثنية، و أتاحت حريتها الفرصة لكل من شاء أن يدعو إلى دينه» و في العلاقات الإجتماعية «كل طائفة تحتفظ في داخلها بتقاليدها الذاتية» و إن الحكومة لا تلتزم بدين و هذا يعنى أننا نرى مجتمعاً مثالياً و هذا يدل على أن هذا المجتمع بعيد عن المدينة الفاضلة التي يبحث عنها ابن فطومة لأن الحرية المطلقة في دار الحلبه تدمر إنسانية الفرد.

للحلبه حسب قراءتها، في دلالتها المعجمي، معنيان الأول: الحلبه بفتح اللام، جمع حالب من حلب القوم : اجتمعوا أو حلب الشاة : استخرج ما في ضرعها من لبن أو مجازاً من حلب الدهر أشطره : جرب أموره خيره و شره و

الثاني: الحلبة بسكون اللام، خيل تجمع للسباق من كل أوب ( أنيس، و الآخرون، ج: ١: ١٩١). إن كلا الدالتين تصدق في الرواية في الأول أن دار الحلبة دار ينتفع كل من يعيش فيه حسب اعتقاداته و ميوله و تحرته و في الثاني تتسابقون كل من فيه للعمل الجاد. هذا العنوان تدل دلالة سيميائية على أنها تتمتع بحرية و انتفاع من الحياة.

#### ٥-٢-٦- دار الأمان

ابن فطومة في البحث عن المدينة الفاضلة يغادر دار الحلبة متوجّها إلى دار الأمان. فأول ما يواجهه قانون صارم ألزمه على اختيار مرشد إجباري، ليرافقه في كل أعماله و يراقبه في كل حركاته. فسرعان يشعر بالضيق فيها: « شتاءها قاتل، خريفها قاس، ربيعها لا يحتمل، ..» و النظام السياسي لدار الأمان نظام استبدادي شيوعي لا مفر من قوانينه الصارمة التي لا مجال فيها للحرية الفردية: «نظامنا يطالبنا بالألا يتدخل إنسان فيما لا يعنيه و أن يركّز كل فرد على شؤونه... و الجميع لا شأن لهم بالسياسة الداخلية أو الخارجية» (محموظ، ٦٨٣).

إن لفظة «الأمان» التي وردت في هذا العنوان، في دلالتها المعجمي تعنى الأمن، الراحة، فحضورها في بناء العنوان و محورها يؤهلها لأن يكون الأمن و الأمان موفور في هذا الموطن. ثم أنها قد تدل اصطلاحيا على «النظام الأمني القائم على التواجد العسكري» و فيها إشارة سيميائية على أن هذه الدار يحكمها نظام مستبد عسكري تصدر الحرية الفردية بحجة توفير الأمن و هذه حقيقة واقعة في القرن العشرين و هو الحكم الشيوعي الزائف الذي بنى حكمه على الدعايات الزائفة للقانون: « انظر إلى الطبيعة، أساسها القانون و النظام لا الحرية!» (نفسه، ٦٨١). و يكتفي بحاجات الإنسان المادية و لا غير و يعزو صوت الحرية إلى: « صوت الشهوة و الوهم» (نفسه، ٦٨٢).

## ٦-٢-٦- دار الغروب

فرارا من الحرب الدائرة بين أقوى دارين: الحبله و الأمان و هرباً من النظام الأمنى المتشدد، توجه ابن فطومة، فى رحلته المعرفية، إلى دار الغروب الأسطورية التى لاحاكم لها و لا حراس، فدخلها بسلام آمننا(محمفوظ، ٦٨٤)، فوجدها جنة بلا ناس، و خيراتها مبدولة بلا حساب و حياة أهلها «موافقة للحق و مفارقة للخلق»(نفسه، ٦٨٥) و هم «مهاجرون من شتى الأنحاء، يجيئون إعراضاً عن الهواء الفاسد، و ليعيدوا أنفسهم للرحلة إلى دار الجبل»(نفسه، ٦٨٦). و سبيل حصول المعرفة فيها إنما بالإشراق الداخلى لأنه «بالتركيز الكامل يغوص الإنسان فى ذاته»(نفسه، ٦٨٧). و ذلك بإشراف شيخ هرم يقوم بتدريب الناس و تعليمهم لاستخراج القوى الكامنة من ذواتهم تمهيدا للوصول إلى دار الجبل. فيسأله ابن فطومة: «و متى أعرف أننى وُفقت؟» فيجيبه: «عندما يتأتى لك أن تطير بلا أجنحة!»(نفسه، ٦٨٦).

الدلالة المعجمية للفظه «الغروب» تعنى مكان غروب الشمس أو زمانها، أى حين تأوى الشمس إلى كهفها فى رحلتها اليومية التى تؤذن بانتهاء كل شئ فى النهار من مصائب وآلام للوصول إلى الهدوء الليلى و سكنه. بدأ ابن فطومة رحلته من دار المشرق وانتقل من دار إلى دار وراء المعرفة حتى وصل دار الغروب، فوجد أن سبيل حصول المعرفة ليست خارج نفسه بل إن المعرفة الحقيقية هى فى داخل الإنسان و فى ذاته. إذن فلهذا العنوان إشارة سيميائية إلى الإيواء إلى النفس فى هدوء و سكون دون جلبة و كما أن الشمس تأوى إلى كهفها فعلى الإنسان أن يأوى إلى نفسه لاستخراج قواه الكامنة تمهيدا للوصول إلى آخر مرحلة للمعرفة و الكمال. و لأجل ذا أحسّ ابن فطومة بانتمائه إلى دار الغروب ما ضاعت رحلته سدى(نفسه، ٦٨٥).

## ٦-٢-٧- «البداية» أو «دار الجبل»

البداية لفظة أطلقها محفوظ على آخر دار فى رحلة ابن فطومة الشاقّة لتدلّ

على نفس المعنى المعجمي لأنّ رحلة ابن فطومة لم يكن نهايتها الوصول إلى دار الجبل و الوقوف فيها بل كان نهايتها الحصول على دواء شاف يرجع به إلى وطنه ليعالجه أى إنّ نهاية الرحلة تتجلى فى بدايتها و هو الرجوع إلى الوطن حاملا دواءه الشافى . هذه الدلالة السيميائية تكشف عن جمال اختيار هذه اللفظة . و اللفظة «دار الجبل» خطورة تدل على الكمال و الأسى و الاعجاب و أنّه سرّ مغلق كُتب عنها كثيرا و ما زاره آدمى و كأنها معجزة البلاد (محفوظ، ٦٤٤ و ٦٤٥). فهى «مدينة فاضلة» أو كأنما هى «معجزة الدهر»، تقصدها الكثيرون و تجدها القليلون.

تبرز عدة الدلالات السيميائية لهذا العنوان فدلالاتها المعجمي، تدلّ على مكان مشرف عال تحصر العيون و فى هذه الدلالة إشارات سميائية منها أنّ وصول قمته يحتاج إلى كدّ النفس و تحمل المشقة فالتجار و طلاب الدنيا لا يمكنهم الصعود إليها: «عند الفجر غادرت القافلة دار الغروب. لأوّل مرّة يستأثر بها الرحّالة و المهاجرون و لا يرى بها تاجر واحد». (محفوظ، ٦٨٨) ثم إنّ الجبل توحى باستحكام و عظمة و ما إلى ذلك من الدلالات التى تستدعى الإعجاب و الكمال و همّة النفس للصعود إليها. فنجيب محفوظ اختار هذا العنوان مناسباً للدلالات التى تشير إليه النص ولكنه يجعل قارئه فى نهاية الرواية فى حالة الاستغراب تماما لأنّ الرحلة ينتهى دون الوصول إلى دار الجبل و دون أى شرح عن هذه الدار سائلا: «هل دخل دار الجبل و أىّ حظّ صادفها؟ و هل أقام بها لآخر عمره أو رجع إلى وطنه كما نوى....علم ذلك كله عند عالم الغيب و الشهادة». (محفوظ، ٦٨٩) و هذا يشير تماما فى إشارة سيميائية إلى الغاية التى يقصدها المتصوفون فى تهذيبهم النفسى للوصول إلى مقام الفناء الذى لا يعرفه إلا من وصله و من وصله فلا يمكنه توصيفه.

#### ٧- سيميائية الشخصيات

الشخصية الروائية فى نظرية السرد الحديثة «إنسان من ورق» (مرتاض،



١٩٩٨: ٧٣)، و أنّها محض خيال يبده المؤلف لغاية فنية محددة ليحقق هدفا جماليا ما، و لابد للناقد الروايي أن يحلل بناء هذا الإنسان الذي «خلقته كلمات الراوي ليضع يده على الصنعة الفنية في العالم الروائي التخيلي» (الفيصل، ٢٠٠: ١١٦). و أن يقوم بدراستها في «إطار دلالي: حيث تغتدى الشخصية مجرد عنصر شكلي و تقني للغة الروائية» (مرتاض، ١٩٩٨: ٧٦). و رغم كونها من صنع الخيال إلا أنّها تمثل طبقة أو شريحة إجتماعية أو تيارا فكريا و هذا ممّا يكسبها صفة النموذجية و يجعلها ركنا أساسيا للعمل الروايي. إن التحليل السيميائي للشخصية الروائية يتركز على أنها صورة للشخص البشري و لابدّ من رصد كلّ عناصر بنائها من وصفها الخارجي و النفسى و اختيار الإسم و اللباس و الإلتناء الاجتماعى و الثقافى و الإيدلوجى (العرجا، ٢٠٠٢: ٢١) و إنها فى الرواية لاتحدد، فى الغالب، بالعلامة التى تُعلم بها، ولكن بالوظيفة التى تُوكّلُ إليها (مرتاض، ١٩٩٨: ٨٧). أى بالفعل أو الحدث الذى يخرج من الشخصية خلال الرواية لأنّ ما تفعله الشخصية من حدث «يقدمّ فى النهاية تجربة إنسانية ذات دلالة معينة» (القضاء، ٢٠٠٠: ٦٩). فالعلاقة الدلالية بين أسماء الشخصيات و بين الوظائف التى وكلت إليها علاقة سيميائية تساعد القارئ على فهم النص السردى و فكرته الرئيسة.

بما أن المضمون السردى لرواية رحلة ابن فطومة هو «الشكف عن الحقيقة» فى رحلة صوفية. فالشخصيات المتعددة التى أوردها نجيب محفوظ فى الرواية تحمل الملامح الصوفية سواء فى فكرتها أو فى عمليتها. و فى هذا الإطار فإنّ الرواية تمثّل تجربة فنية تعتمد على الرؤية الصوفية فى إطار رمزى ككلّ عمل سردى صوفى و ذلك من خلال شخصياتها و بنيتها السردية و من دون الإغراق فى استخدام الصور الرمزية و الابتعاد عن العقل و الفهم الصحيح لحقائق الأمور.

#### ١-٧- شخصية ابن فطومة:

بطل الرواية الذى تتمركز الأحداث و الشخصيات كلّها حول الرحلة التى

تقوم بها، فعنونَ بها الكاتب روايته. كان «محمد قنديل العنابي» المشهور بابن فطومة، قد تيمّم طفلاً و عرف نفسه باحثاً عن الحقيقة و الحرية و محباً للمعرفة من أجل ذلك قام برحلته هذه (محفوظ، ٢٠٠٧: ٦٧٢).

الوظيفة التي عهدت إليه في الرواية هو الكشف عن الحقيقة و الحصول على دواء شاف لوطنه الجريح و ذلك في رحلة كثير المغامرة و المجازفة، حيث تتحول شخصيته من صورة إلى صورة في اندفاعات جرئية لإشباع رغباته: «إني أتخلى عن حضارة و أسلم نفسي لحضارة جديدة. أتوق إلى الحياة بعيداً عن الرقباء» (نفسه، ٦٥٠). قد يبعد عن هدفه حيناً و ينسأه حيناً آخر طامحا إلى حياة مستقرة و ذلك لوقوعه في شرك الحب لـ «عروسة» في دار المشرق و «سامية» في دار الحيرة، حيث الإغراء لترك الرحلة و الغاية التي كانت عليها، شديداً، فيصف نفسه في دار المشرق قائلاً: «إني مستغرق بالحب و لا شأن لي بالزمن. لا أهمية الآن للرحلة و لا للمهمة، ... و أطمح إلى حياة مستقرة و لو ربطتني في النهاية بالمشرق» (نفسه، ٦٥٧). ولكنه يثوب إلى رشده مخاطبه نفسه: «و قلت لنفسي إن خير ما تفعل يا رحالة أن ترى و تسمع و تسجّل و أن تتحاشى التجارب. و أن تعاود أحلامك عن دار الجبل. و أن تحمل الدواء الشافي لجراح الوطن» (نفسه، ٦٥٩).

وظيفته هذه تجعله «الرحالة الوحيدة» بين رفاقه التجار الذين يرمقونه بنظرات غريبة ساخرين إياه لقيامه برحلة من نوعها: «سأذهب حتى دار الجبل! فتساءل أحدهم باستهانة: و ما دار الجبل؟ و قال ثان بفخار: نحن دار الإسلام... و قال الثالث: التجارة من العمران و الله يأمرنا بالعمران... و قال الرابع: كان النبي عليه الصلاة و السلام تاجراً. فقلت كالمعتذر: و كان أيضاً رحالةً و مهاجراً! فقال الأول: ستبدد ثروتك في الترحال و ترجع إلى بيتك فقيراً... فقلت كاظماً غيظي: لا يعرف الفقر من يؤمن بالعمل...» (نفسه، ٦٤٨). فتظهر حينئذ شخصيته في حالة القبض عند الصوفي و هو «أخذ القلب بوارد يشير إلى ما يوحشه من الصدّ و الهجران و أمثال ذلك» (العجم، ١٩٩٩: ١٤٣) و

يصف حالته باليأس المرير: «...ذقت طعم اليأس المرير و عرفت أنه حقيقة تقع لا حكاية تروى. ضاعت عروسة، تلاشت الرحلة، تبدد حلم دارالجبل، اختفى وجودى نفسه من هذه الدنيا...» (محفوظ، ٢٠٠٧: ٦٤٤).

ما ذكرناه من دلالات سيميائية فى العنوان يغنيننا عن تكرارها فنضيف إليها دلالة الوظيفة التى وكلت إلى شخصية ابن فطومة فى الرواية لتدل على كونه رمزا لإنسان صوفى ذى عزيمة، مريد، حُرٍّ مخلص، يريد أن يصل إلى المعرفة و الكمال الذى ليس بعده كمالٌ و الحياة التى يتكامل فيها العقل و الروح، و يتحقق فيها العدل، العمل، الحرية و النقاء النفسى، و الصوفيون هم الذين «يسلكون طريق السياحة و الأسفار و الإغتراب عن البلدان و خمول الذكر و هى أوضح الطريق» (الأرمورى، ١٣١٠هـ ق: ٢٧١). معرضين عن الهوء الفاسد، منسين الدنيا و ما فيها، و قد تتعرضهم التجارب المخطئة ولكنهم يصيبون إلى رشدهم و ابن فطومة فى رحلته شطر دار الجبل يكشف شيئا فشيئا ملامح الحقيقة و الكمال اللذين ينشدهما فى دارالجبل. و هو صوفى كشف الحقائق فى تجاربه النادرة المختلفة.

## ٢-٧- شخصية الشيخ مغاغة الجبيلي:

تلك الشخصية القوية المهيبة العظيمة فى عيني بطل الرواية. فتلقى عنه ابن فطومة القرآن و الحديث و الفقه و الحساب و اللغة و الأدب (محفوظ، ٢٠٠٧: ٦٤٣). و لم يتلق من غيره شيئا. و كُلت إليه، فى الرواية، وظيفة إرشاد البطل إلى الطريق الصحيح و الشيخ يعتقد أن الإسلام اليوم قابع فى الجوامع لا يتعداها إلى الخارج و لن يعثر الإنسان على الجديد فى ديار الإسلام و أنها بعيدة كلها عن روح الإسلام الحقيقى (محفوظ، ٦٤٤). فحديثه عن الإسلام و الرحلات أثار أسواق ابن فطومة لدرجة الاشتعال و ألهمه فكرة الرحلة لتكتشف ديارا جديدة و غريبة اسمها دار الجبل و «كأنها سرٌّ مغلق» (نفسه، ٦٤٤). و راح الشيخ مغاغة الجبيلي ينور عقل ابن فطومة و روحه و يبدد الظلام من حوله (نفسه، ٦٤٥). فهو فى هذا رمز للمعلم الهادى و الراشد الواعى.

أما لاسمه، ففي دلالاته المعجمية، إشارة سيميائية إلى «غاغة» في معناها المعجمي على « نبت معمر طيب الرائحة» (أنيس و الآخرون، ١٩٩٠م، ج ٢: ٦٦٦). لتشير إلى حديثه الناعم الحلو كالطيب و في نسبته إلى مصغر الجبل أي: «الجبيل» دلالة على أنه لم يكن قد علا على الناس العاديين كثيرا، لأن الجبل هو ماعلا من سطح الأرض أو جاوز التل ارتفاعا و لكن الجبيل أقل منه ارتفاعا، رغم هيئته و عظمته، و للتصغير إشارة سيميائية إلى عجزه في مواصلة رحلته إلى النهاية و عودته إلى حياته العادية و وطنه الأول. هذا ما أشار إليه الشيخ مغاغة الجبيلي قائلا: «ظروف الحياة و الأسرة أنستني أهم هدف من الرحلة و هو زيارة دار الجبل» (ن.م: ٦٤٤). و للمعنى المعجمي لـ «الشيخ» إشارة سيميائية إلى اتصافه بالحلم و العقل و ذلك واضح في موقفه أمام رحلة ابن فطومة: «و طرحت الموضوع للمناقشة مع الشيخ و لكن موقفه كان واضحا تماما فهو يؤمن بالعقل و حرية الاختيار...» (ن.م: ٦٤٤). يبدو أن محفوظ في تسميته لهذه الشخصية بـ «الشيخ مغاغة الجبيلي» عمد إلى المعنى المعجمي في دلالتها السيميائية ليعطى الأداء اللغوي للرواية معنى إيحائيا مناسباً للوظيفة التي عهد إليها في روايته.

### ٣-٧- شخصية الأم:

إن بطل الرواية منسوبة إلى أمه خلافا للتقاليد السائدة في المجتمع العربي و كانت اسمها «فطومة الأزهرى»، و فيما ذكرنا من دلالاته المعجمية، رأينا أنها تدل على القطع و الانفصال و الأم منفصلة عن عائلته الأولى باحثة عن الحياة المثلى لابنها فهي امرأة طيبة ساذجة متعاطفة « و شاركت في تكويني بحبها و جمالها... و لم تتردد مرة عن إعلان إعجابها بجمالي و نجاحي» (محفوظ، ٦٤٥). فوظيفتها الروائية هي المشاركة الفاعلة في تكوين شخصية ابن فطومة الدينية و هذا مناسباً تماما مع كلمة الأزهرى في إشارتها السيميائية للجامع الأزهر الشريف و المركز الديني الكبير و الشهير في القاهرة.

و هي، في وظيفتها الروائية، رمز للشخصية الدينية التقليدية في إيمانها و

رضائها و في نظرتها الجميلة إلى ما يحدث في حياتها، مستسلمة لها لأنها تعتقد أن كل شيء يحدث في الحياة فهو قدر محتوم من عند الله. نلمس كل ذلك في حوار دار بينه وبين ابنها: «كلامك كثيراً يكدر صفوى... و تساءلت عن السبب فقالت: كأنك لا ترى إلا الجانب القبيح من الحياة! و لم تكن تنكر أقوالى أو ترى فيها أى مبالغة، ولكنّها أفصحت عن إيمانها قائلة: الله صانع كل شيء، و له في كل شيء حكمه... فقلت مندفعاً: ساءنى الظلم و الفقر و الجهل! قالت: الله يطالبنا بالرضا في جميع الأحوال» (محفوظ، ٤٤٥).

## ٤-٧- شخصية عروسة:

شخصية ذات دلالات مزدوجة في مواقف مختلفة لأنها تتغير و تتحول، يبدو أن الكاتب قصد بها دلالة بعيدة المعنى فلا يمكن الالتفات إليها في النظرة الأولى، و منذ استحضارها في الرواية، في دار المشرق، لعبت دوراً أساسياً في حياة ابن فطومة ففي دار المشرق شُغف بها و أحبّه لأنه «ما رآها شاب إلا أحبّها» (نفسه، ٤٥٣). فهي المحبوبة و الزوجة التي أنجبت ثلاثة أبناء له فيحاول ابن فطومة أن ينقذ روحها و لن تسمح له بهذا أبداً (نفسه، ٤٥٧ و ٤٥٨). و في دار الحيرة تصبح أسيرة حربية تباع فيشتريها ابن فطومة ولكن الحظ خالفه ففي مؤامرة استحوذ عليها حكيم الدار ديزنج و سُجن ابن فطومة بسببها، و في دار الحلبة بحث عنها فلم يظفر بشيء ذى بال إلا علم أنها سافر إلى دار الأمان و من هنا إلى دار الغروب هكذا أصبحت شخصيتها تلازم ابن فطومة في رحلتها فلا يمكنه نسيانها في كل دار من دور الرحلة.

دلالة العروسة المعجمية هي «الزوجة مادام في عرسها» (أنيس والآخرون، ١٩٩٠م، ج ٢: ٥٩٢). هذه تتناسب و الشخصية الروائية التي تتبدل أزواجها من دار إلى دار كأنها في عرس دائم. و لأحوالها المتغيرة إشارة سيميائية إلى وظيفتها الروائية و هي تمثيل للدنيا المتغيرة أحوالها و الكثيرة مصائبها و اقترانها بالإنسان من البداية أى المشرق حتى النهاية أى المغرب. و التقى بها في دار الحلبة و «كأنها معجزة انبتقت من المستحيل»

(المحفوظ، ٢٠٠٧: ٤٧٧). و علم أنها متزوجة من رجل بوذي و أنها ستقوم برحلة إلى دار الأمان ومنها إلى دار الجبل ثم إلى الهند، و شعر في نفسه هزة لحب قديم (نفسه، ٤٧٧). و في دار الغروب بحث عنه إلى أن أخبره الشيخ بأنها سبقتة إلى دار الجبل و ذلك « بفضل ما عانت في حياتها من آلام... » (نفسه، ٤٨٧). هكذا أصبحت عروسة شخصية مقترنة بابن فطومة في رحلتها إلى دار الجبل ولكنها بطريقتها و معاناتها و آلامها الخاصة، كأنها الدنيا التي تصاحب الإنسان من البداية إلى النهاية.

٥-٧- شخصيات « كاهن القمر»، و «الحكيم ديزنج» و «الحكيم مرهم الحلبي» و «فلوكة» و «الشيخ»:

شخصية «حكيم العاصمة أو كاهن القمر» في دار المشرق (نفسه، ٤٥٣ و ٤٥٥). و «الحكيم ديزنج» حكيم دار الحيرة المخيف (نفسه، ٤٤)، و «الحكيم مرهم الحلبي» المتصف بالعقل والحزم في دار الحبلية (نفسه، ٤٧٢) و شخصية «فلوكة» المرشد و المرافق له في دار الامان (نفسه، ٤٧٩-٤٨٢) و شخصية «الشيخ» في دار الغروب و الساكن في عمق الغابة لتدريب المسافرين إلى دار الجبل (نفسه، ٤٨٤) هذه الشخصيات الروائية كلها، رغم الفروق الطفيفة في أوصافهم و شخصياتهم، تقوم بوظيفة روائية مشابهة و هي شرح المعتقدات و الطقوس الدينية السائدة في كل دار كأنهم مثقفو هذه الدور ليفسحوا المجال لابن فطومة في حديثه معهم، للمقارنة بين ما هو سائد في هذه الدور و ما يجري في وطنه الجريح في حسرة لا تنتهي. لكل هذه الشخصيات في أسمائهم و وظيفتهم إشارات سيميائية تتناسب مع المعتقدات السائدة في كل دار. فمثلا كاهن القمر بسيط في أفكاره و حياته و هذا يتناسب مع المعتقدات البسيطة السائدة في دار المشرق في عبادة القمر و أما الحكيم ديزنج فشخصيته مهابة و مخيفة و هذا يتناسب مع عبادتهم الملك كإله المملكة و يتصرفه كما يشاء متناسب لحكم استبدادي مطلق و شخصية الحكيم مرهم الحلبي في دار الحبلية

في أتصافه بالحكمة واعتقاده بالعقل و الحرية. ولكن شخصية الشيخ تتفاوت بعض التفاوت في إشارات السيميائية لأنه «مدرّب الحائرين» ليساعدهم على نزاهة أرواحهم عن المعاصي ليعدّوا أنفسهم للرحلة إلى دار الجبل: «شيخُ هرمٍ... فذهلتني حيرة شديدة و سألته: و كيف تعدّهم للرحلة؟ فقال ... إني أدربهم بالغناء لتمهيد الطريق، ولكن عليهم أن يستخرجوا من ذواتهم القوى الكامنة فيها. و معناه أن في كل إنسان كنوزاً مطمورة عليه أن يكشفها خاصّة إذا أراد أن يزور دار الجبل» (ن.م: ٦٨٤ و ٦٨٥). و في هذه الوظيفة التي وُكلت إليه في الرواية دلالة واضحة على أنها ترمز إلى «شيخ صوفي»، يدرب الحائرين، الطريق الصحيح لاستخراج قواهم الكامنة للوصول إلى الكمال.

### النتيجة

نستخلص ما يلي من النتائج مما مرّ من البحث السيميائي للرواية رحلة ابن فطومة:

- ١- إنَّ للعنوان، أي: «رحلة ابن فطومة» دلالات معجمية تدلُّ على أن الرحلة لا تنحصر في شخص واحد بل هي تجربة إنسانية تشمل كل إنسان باحث عن الحقيقة و أنّ مادتها مقتبسة من التراث العربي والديني شكلا و معنى.
- ٢- إنَّ عناوين الرواية، تدلُّ على أنها أختيرت بدقة لتوحى معناها السيميائي لدلالة كل عنوان على دار تمثل حياة دينية أو سياسية في عصرنا الحاضر في تعدد أنظمتها السياسية و الاجتماعية و الدينية، من البدائية و الوثنية (دار المشرق) إلى الأنظمة المستبده (دار الحيرة) ثم الرأسمالية (دار الحلبة) و الإشتراكية الفاشية (دار الأمان) ثم الحياة الروحية المتمثلة في دار الغروب و أخيرا العدالة و الإسلام الحقيقي الموجود في دار الجبل. و قد روعي مستوى التطور البشري و تقدمه في مراحل هذه الرحلة و في ترتيب العناوين.
- ٣- إنَّ دلالات أسماء الشخصيات في هذه الرواية تشير إلى أن الكاتب قد عمد إلى اختيارها قصدا ليُشحن هذه الأسماء طاقاتها الإيحائية في إشارات السيميائية على رموز فكرية و صوفية و دينية كل حسب وظيفتها الروائية،

مثلا «ابن فطومة» في دلالتها المعجمية تدلّ على كلّ إنسان باحث عن الحقيقة و «الشيخ مغاغة الجبيلي» تدلّ على شخصية مرشد ذات أقوال ناعمة حسنة ليؤدى وظيفتها الروائية.

٤- تتمركز الأحداث و الشخصيات و الدور السبعة و الزمان و المكان حول شخصية «ابن فطومة» حيث لا يمكن فهم واحد منها إلاّ في نسبتها إلى هذه الشخصية و هذا ممّا أدّى بمحفوظ أن يعنون روايته بهذه الشخصية الموحية في إشاراتها السيميائية إلى التراث الأدبي و الصوفي.

٥- إنّ سيميائية العناوين و الشخصيات تتناسب و رؤية الكاتب المثالية، في الكشف الشهودي للحقيقة، و هو ما أخذه الكاتب عن النظرة الصوفية إلى حقيقة الأشياء للوصول إليها بالقلب و استخراج القوى الكامنة للنفس لا بالعقل. فالشخصيات المتعددة التي أوردها نجيب محفوظ في الرواية تحمل الملامح الصوفية سواء في فكرتها أو في عمليتها. فشخصية «الأم» رمز للشخصية الدينية التقليدية في إيمانها و رضائها و في نظرتها الجميلة إلى ما يحدث في حياتها، و شخصية «الشيخ» في دار الغروب ترمز إلى «شيخ صوفي»، يدرّب الحائرين، و يرشدهم إلى الطريق الصحيح لاستخراج قواهم الكامنة للوصول إلى الكمال.

### بيّ نوشت

1. Semiotics
2. text Narrative

### المراجع

#### أ) العربية

١. الأرموري، عماد الدين. (١٣١٠ هـ ق). حياة القلوب في كيفية الوصول إلى المحبوب. بيروت: دار الفكر.
٢. أنيس، إبراهيم و عبد الحليم منتصر و عطية الصوالحي و محمد خلف الله احمد. (١٩٩٠ م). المعجم الوسيط. القاهرة: مجمع اللغة العربية.



٣. اصغرى، جواد. (١٤٢٧هـ ق). «الرمزية فى أدب نجيب محفوظ». مجلة اللغة العربية و آدابها. السنة الأولى. العدد ٣. شتاء ١٤٢٧. صص ٥-١٧.
٤. اقبالى، عباس و سيدرضا ميراحمدى. (١٣٨٥هـ ش). المجانى من النصوص العرفانية. (ط ١). تهران: سمت.
٥. بروينى، خليل وكبرى روشنفكر وعلى كنجيان خنارى ونعيم عمورى. (١٤٣٢هـ ق). «التناص القرآنى فى رواية «الص و الكلاب» لنجيب محفوظ». مجلة اللغة العربية و آدابها. السنة السادسة. العدد ١١. صص ٢١-٤٧.
٦. بروينى، خليل و كبرى روشنفكر و على كنجيان خنارى و نعيم عمورى. (١٣٩٠هـ ش). «جدلية البحث عن الله فى رواية الطريق لنجيب محفوظ». فصلية اللسان المبين. السنة الثالثة، المسلسل الجديد العدد ٥. صص ١٠٦-١٢٠.
٧. بروينى، خليل و نعيم عمورى. (١٤٣١هـ ق). التناص القرآنى فى رواية حكايات حارتنا لنجيب محفوظ. آفاق الحضارة الإسلامية. صص ١٤٥-١٦٢.
٨. برهومه، عيسى عوده. (٢٠٠٧م). «سيمياء العنوان فى الدرر اللغوى». المجلة العربية للعلوم الإنسانية. العدد ٩٧. الكويت.
٩. جمال الدين محمد بن مكرم ابن منظور. (١٩٩٨م). لسان العرب. (ط ١). بيروت: دار احياء التراث العربى.
١٠. جمعه، حسين. (١٩٩١م). أدب الرحلة. (ط ١). القاهرة: الشركة المصرية العامة.
١١. الجندى، أحمد. (٢٠١١م). «الجانب الروحى و البعد الصوفى فى حياة وأدب نجيب محفوظ». صحيفة النهار. العدد ١١٨٨. الثلاثاء ٣ ربيع الآخر. مصر.
١٢. حمداوى، جميل. (١٩٩٧م). «السيميوطيقا، و العنونة» مجلة عالم الفكر. مجلد ٢٥. العدد ٣. المجلس الوطنى للثقافة و الفنون.
١٣. روشنفكر، كبرى و صلاح الدين عبدى. (١٣٨٣هـ ش). صدى المرأة فى الأعمال النقدية لنجيب محفوظ. مجلة العلوم الإنسانية. السنة الحادية عشرة. العدد ١١. صص ٥٥-٦٤.
١٤. شوقى سليمان، سعيد. (٢٠٠٠م). توظيف التراث فى الروايات لنجيب محفوظ. (ط ١). القاهرة: ايتراك للنشر و التوزيع.
١٥. ضيف، شوقى. (١٩٨٧م). الرحلات. ط ٤. القاهرة: دار المعارف.
١٦. طهماسى، عدنان و جواد اصغرى. (١٣٨٥هـ ش). مظاهر الواقعية التفاضلية فى أدب نجيب محفوظ و تداعياته. مجلة اللغة و الأب لجامعة طهران. كلية الآداب و العلوم الإنسانية. العدد ١٧٨. صص ٢١-٣٦.

١٧. عبدالقادر، فاروق. (٢٠٠٣م). في الرواية العربية المعاصرة. من منشورات [www.kotobarabia.com](http://www.kotobarabia.com).
١٨. عبدالمعطي، فاروق. (١٩٩٤م). نجيب محفوظ بين الرواية و الأدب الروائي. (ط ١). لبنان: دارالكتب العلمية.
١٩. العجم، رفيق. (١٩٩٩م). موسوعة مصطلحات التصوف الإسلامي. (ط ١). صوفية: مكتبة لبنان ناشرون.
٢٠. العرجا، جهاديوسف. (٢٠٠٢م). سيميائية الشخصيات في «القاهرة الجديدة» لنجيب محفوظ. الجامعة الإسلامية بغزة. كلية الآداب قسم اللغة العربية.
٢١. فاليريا كيريتيشنكو. (١٩٩٣م). «الرواية المصرية بعدالستينيات». مجلة الفصول. المجلد ١٢. الرقم ١. صص ١٥٩-١٩٠.
٢٢. فهميم، حسين محمد. (١٩٨٩م). ادب الرحلات. الكويت: سلسلة عالم المعرفة.
٢٣. الفيصل، سمر روجي. (٢٠٠٠م). بناء الشخصية الروائية. الموقف الأدبي. العدد ٣٤٥. دمشق: اتحاد الكتاب العربي.
٢٤. القضاة، محمداحمد. (٢٠٠٠م). التشكيل الروائي عند نجيب محفوظ (دراسة في تجليات الموروث). بيروت: المؤسسة العربية للدراسات و النشر.
٢٥. قطوس، بسام. (٢٠٠١م). سيمياء العنوان. (ط ١). إربد: مكتبة كتانة.
٢٦. كامل شعلان، سناء. (٢٠٠٦م). الرحلة الأسطورية في رواية رحلة ابن فطومه لنجيب محفوظ. مجلة عمان. الأردن. العدد ١٣٥. أيلول ١٧. [www.main.omandaily.com](http://www.main.omandaily.com).
٢٧. كنجيان خناري، علي و محبوبه بادرستاني. (١٣٨٨هـ ش). اللص و الكلاب: دراسة في الشكل و المضمون. التراث الأدبي. السنة الأولى، العدد ٤. صص ١١٣-١٢٢.
٢٨. كورتيس؛ جوزيف. (٢٠٠٧م). مدخل الى السيميائية السردية و الخطائية. ترجمة: جمال حضري. الجزائر: منشورات الإختلاف، الدارالعربية للعلوم.
٢٩. محفوظ، نجيب. (٢٠٠٧م). الأعمال الكاملة. المجلد الخامس. القاهرة: مكتبة مصر.
٣٠. مرتاض، عبدالملك. (١٩٩٨م). في نظرية الرواية (بحث في تقنيات السرد). الكويت: عالم المعرفة.
٣١. مريني، محمد (٢٠٠٦)، «نجيب محفوظ في النقد الحديث (النقد الاجتماعي)»، مجله النقد الادب فصول، العدد ٦٩- صيف - خريف
٣٢. الملاح، إيهاب. (٢٠١١م). استلهام التراث السردى في رحلة ابن فطومة. مجلة عمان. الأردن. العدد ١٧٠. ديسمبر ٢٧. [www.main.omandaily.com](http://www.main.omandaily.com).
٣٣. موسى، خليل. (٢٠٠٠م). قراءات في الشعر العربي الحديث و المعاصر. منشورات موقع

اتحاد الكتاب العرب على شبكة الإنترنت. [www.awu-dam.com](http://www.awu-dam.com)

٣٤. نجم، محمد يوسف. (١٩٦٥م). فن القصة. بيروت: دارالثقافة.  
 ٣٥. هليل، جلال أبوزيد. (٢٠٠٦م). «فلسفة الشكل في «العائش في الحقيقة»». مجلة  
 الفصول. عدد خاص لنجيب محفوظ، المجلد ١٢، الرقم ١، صص ١٣٦-١٤٨.

#### (ب) الفارسية

٣٦. ضميران، محمد. (١٣٨٢هـ ش). درآمدی بر نشانه شناسی هنر. تهران: نشر قصه.  
 ٣٧. ميرزایی، فرامرز و مظفراکبری مفاخر. (١٣٨٨هـ ش). تحلیل مکتب ادبی داستان «سه گانه»  
 نجیب محفوظ. مجله انجمن ایرانی زبان و ادبیات عربی. شماره ١١. صص ١١٥-١٣٥.  
 ٣٨. -----، و----- (١٣٨٧هـ ش). «بحران فکری و روحی قهرمان در  
 رمان الثلاثية ی نجیب محفوظ». پژوهشنامه ادب غنایی دانشگاه سیستان و  
 بلوچستان. سال ششم. شماره ١١. پاییز و زمستان ١٣٨٧. صص ١٦٤-١٥٣.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی  
 پرتال جامع علوم انسانی